9

ترجمة: محمد عبد العزيز

شيرلي جاكسون

روبرت بلوخ

اليانصيب

جاك السفاح

قصص مترجمة

KOTOPIA
PUBLISHING
HOUSE

اليانصيب

شيرلي جاكسون

ترجمة محمد عبد العزيز

بدا صباح يوم ٢٧ يونيو صافيًا ومشمسًا، يمتلئ بالدفء كأي يوم صيفي آخر. كانت الزهور مشذبة بعناية، بينما التمعت الأعشاب الخضراء من حولها.

بدأ أهل القرية في التجمع في الميدان الرئيسي، بين مكتب البريد والبنك، في حوالي الساعة العاشرة.

في المدن الكبيرة والمكتظة بالسكان كان سَحب اليانصيب يستغرق يومين، ولهذا كان يبدأ في السادس والعشرين من يونيو، أما في هذه القرية التي يبلغ عدد سكانها ثلاثمئة نسمة فقط، فإن عملية السَحب بأكملها لا تستغرق أكثر من ساعتين، ولهذا يمكن أن تبدأ في الساعة العاشرة صباحًا، وتنتهي في وقت مناسب ليتمكن أهل القرية من العودة لمنازلهم وتناول طعام الغداء.

بالطبع كان الأطفال هم أول من تجمعوا، فقد انتهت الدراسة وبدأت العطلة الصيفية، وقد سيطر على معظمهم شعور بالحرية، وكانوا يتجمعون في مجموعات تبدو في البداية

هادئة، قبل أن يبدؤوا باللعب الصاخب، وكانت أحاديثهم تدور حول الفصول، والمدرسة، والمعلمين، والتوبيخ الذي تلقوه خلال فترة الدراسة!

ملأ «بوبي مارتن» جيوبه بالحصى، وسريعًا ما قلده باقي الأولاد، فبدأوا في انتقاء الحصى الناعم المستدير.

تمكن كل من «بوبي»، و«هاري جونز»، و«ديكي ديلاكروكس» -والتي ينطق القرويون اسمها «ديلا كروي»- في النهاية من تجميع كومة كبيرة من الحصى في إحدى زوايا الميدان، وقام الأطفال بحراسة تلك الكومة من غارات الأولاد الآخرين. وقفت الفتيات جانبًا للحديث فيما بينهن، وهن يلتفتن بين الحين والآخر لينظرن إلى الأولاد. أما الأطفال الأصغر سنًا فقد أخذوا يلعبون وسط الرمال، أو تعلقوا بأيدي إخوتهم الأكبر سنًا.

بعد وقت قصير بدأ الرجال في التجمع، وهم يتفقدون أطفالهم، ودارت أحاديثهم عن الزراعة والمطر والجرارات والضرائب. وقفوا سويًا بعيدًا عن كومة الحصى الموجودة في زاوية الميدان، وكان مزاحهم هادئًا يستدعي الابتسام أكثر من الضحك.

أتت النسوة -واللاتي ارتدين ملابسهن المنزلية باهتة اللون-

بعد فترة قصيرة من مجيء أزواجهن. تبادلت السيدات التحية، وبدأن بالثرثرة بينما هن في الطريق للحاق بأزواجهن، ثم بدأن في مناداة أطفالهن، الذين لحقوا بهن على مضض، بعد أن نُودوا أربع مرات أو خمسًا.

أفلت «بوبي مارتن» من قبضة أمه وفر هاربًا وهو يضحك، قبل أن يتجه لكومة الحصى. بدأ والده بالصراخ مناديًا إياه، فعاد «بوبي» مسرعًا ليقف بين أبيه وأخيه الأكبر.

كان السيد «سامرز» هو المشرف على اليانصيب، كما كان يشرف على الرقصات، ونادي المراهقين، وكذلك برنامج «الهالوين»، لامتلاكه الوقت والطاقة الكافيين ليقوم بمثل هذه النشاطات المدنية. كان ذا وجه ضاحك مستدير، وكان يعمل بتجارة الفحم، وقد تعاطف معه الناس لأنه ليس لديه أطفال، وكانت امرأته متسلطة. عندما وصل للميدان حاملًا الصندوق الخشبي الأسود، أخذ الأهالي يتهامسون، فلوح بيده قائلًا:

- معذرة، تأخرت عليكم قليلًا.

تبعه مدير مكتب البريد السيد «كريفز»، حاملًا كرسيًا ذا ثلاثة سيقان، ووضعه في وسط الميدان. وضع السيد «سمرز» الصندوق الأسود عليه. حافظ الحضور على وجود مسافة

بينهم وبين الكرسي. قال السيد «سمرز»:

- هلا ساعدني أحدكم يا رجال؟

وهنا تردد القرويون قليلًا، قبل أن يتقدم رجلان هما السيد «مارتن» وابنه الأكبر «باكستر»، ليثبتا الصندوق على الكرسي، بينما قام السيد «سمرز» بتقليب الأوراق داخله.

فُقِدَت الأدوات الأصلية الخاصة بعملية السَخب منذفترة طويلة، وحل محلها الصندوق الأسود الموجود على الكرسي الآن، والذي يفوق عمره عمر أكبر رجال القرية، وهو «وارنر» العجوز، وما زال هذا الصندوق يستخدم حتى الآن.

تحدث السيد «سمرز» كثيرًا مع الحضور عن ضرورة صنع صندوق جديد، لكن ذلك الصندوق القديم صار تقليدًا مهمًا لديهم، ولا يودون تغييره.

يُقال إن بعض أجزاء الصندوق الحالي مصنوعة من بقايا الصندوق السابق، والذي قام سكان القرية الأوائل بصنعه حين أنشأوا القرية. في كل عام وبعد كل عملية سَخب يبدأ السيد «سمرز» بالتحدث حول موضوع الصندوق الجديد، وفي كل عام يذهب الموضوع في طي النسيان دون اتخاذ أي إجراء.

لم يعد الصندوق أسود اللون كما كان، بالإضافة إلى أنه كُسر

في أحد جوانبه، ليظهر لون الخشب الأصلي، وفي أماكن أخرى صار اللون باهتًا.

أمسك كل من السيد «مارتن» وابنه الأكبر «باكستر» الصندوق بإحكام، حتى انتهى «سمرز» من خلط الأوراق كلها بشكل جيد بيديه.

كانت أغلب العادات المرتبطة بالسَحب قد اندثرت وعلى سبيل المثال استبدلت القطع الخشبية التي كانت تُستخدم منذ أجيال بقصاصات من الورق، فالقطع الخشبية كانت تناسب عدد سكان القرية حينما كانت صغيرة، أما الآن فتعداد السكان يزيد عن الثلاثمائة نسمة، ومستمرة في الزيادة، لذا كان من الضروري استخدام شيء يكفيه الصندوق مع هذا العدد الكبير.

يقوم السيد «سمرز» والسيد «كريفز» في الليلة التي تسبق عملية السَحب بإعداد قصاصات الورق ووضعها في الصندوق، ثم يُحفظ الصندوق داخل خزينة شركة الفحم التي يملكها السيد «سمرز»، يُنقلُ في الصباح التالي إلى ميدان القرية الرئيسي. أما فيما عدا يوم السَحب، فليس للصندوق مكان ثابت يُحفظ فيه. فقد بقي ذات عام في مخزن السيد «كريفز»، وفي عام آخر وُضع على الأرض

بمكتب البريد، وأحيانًا يُوضع على الرف في بقالة «مارتن».

عمت الفوضى المكان حتى أعلن السيد «سمرز» بدء عملية السَحب. أعِدَت قوائم خاصة بأسماء أكبر أفراد العائلات واسم رب كل أسرة منهم، وأسماء أفراد كل أسرة كذلك. قام مدير البريد بتكليف السيد «سمرز» بمنصب الموظف المسؤول عن اليانصيب كما جرت العادة.

يتذكر أهل القرية أن الشخص المسؤول عن عملية السَحب قد قام بالغناء بدون لحن ذات مرة، وكان يقرأ بسرعة كنوع من أداء الواجب، وكان عليه وقتها أن يقف وقفة معينة وهو يغني، بينما اعتقد الآخرون أن عليه أن يمشي بين الناس وهو يغني، لكن هذا التقليد أخذ في الاختفاء عامًا بعد عام على أية حال.

كان هناك طقس معين يقوم به الموظف المسؤول عن اليانصيب، للترحيب بكل شخص يأتي ليسحب ورقة من الصندوق، لكن هذا كذلك تغير مع مرور الزمن، فلم يعودوا يعتقدون أن هناك ضرورة لأن يتحدث الموظف المسؤول مع كل شخص يقترب للسَحب.

كان السيد «سمرز» متميزًا في كل هذا، وقد بدا مظهره لائقًا وهو يرتدي قميصه الأبيض النظيف، وبنطاله الجينز الأزرق،

وقد اتكأ بإحدى يديه على الصندوق الأسود، وقد بدا عليه الاهتمام الشديد وهو يتحدث مع السيد «كريفز» وعائلة «مارتين».

وبمجرد أن توقف السيد «سمرز» عن الكلام واستدار نحو الحاضرين، أتت السيدة «هاتشنسون» مسرعة عبر الطريق المؤدي للميدان، وقد وضعت سترتها على كتفيها، ووجدت لنفسها مكانًا في مؤخرة التجمع. قالت السيدة «هاتشنسون» للسيدة «ديلا كروكس» التي وقفت بجوارها:

- لقد نسيت أي يوم هذا!

ضحكت كلتاهما بصوت منخفض، قبل أن تستطرد السيدة «هاتشنسون»:

- ظننت أن زوجي العجوز قد خرج لترتيب الخشب في حديقة المنزل الخلفية. لكن عندما نظرت عبر النافذة ولم أجد الأطفال تذكرت أن اليوم هو السابع والعشرون، فجريت حتى هنا!

جففت يديها بمئزرها بينما قالت لها السيدة «ديلا كروكس»:

- لقد وصلتِ في الوقت المناسب، فما زالوا يتحدثون هناك.

رفعت السيدة «هاتشنسون» رقبتها لتبحث بين الجموع عن

زوجها وأبنائها، فوجدتهم في المقدمة. ربتت السيدة «هاتشنسون» على ذراع السيدة «ديلا كروكس» مودعة، وأخذت تشق طريقها بين الحشود التي أفسحت لها الطريق بلطف. صرخ شخصان أو ثلاثة بصوت عالٍ بما فيه الكفاية لتسمعه:

- ها قد حضرت السيدة «هاتشنسون»!

وصلت السيدة هاتشنسون» لزوجها. استقبلها السيد «سمرز» -الذي كان ينتظرها- بابتهاج قائلًا:

- لقد ظننت أننا سنبدأ من دونك يا «تيسي».

أجابته مبتسمة:

-لا أظنك تحبذ أن أترك صحوني في حوض المطبخ وهي متسخة، أليس كذلك يا «جوي»؟

علا صوت الضحكات، بينما عاد الناس لأماكنهم بعد وصولها. قال السيد «سمرز» بجدية»

- أعتقد أنه من الأفضل أن نبدأ الآن، لكي يتسنى لكل منا العودة لعمله. هل من أحد غائب؟

رد بعض الناس:

- «دانبر» لم يظهر بعد.

تفحص السيد «سمرز» القائمة التي معه ثم قال:

- «كلايد دانبر». هذا صحيح. لقد كُسرت ساقه. من سيسحب عنه؟

ردت عليه امرأة بقولها:

-أنا سأقوم بذلك!

فالتفت السيد «سمرز» نحوها قائلًا:

- الزوجة تحل محل زوجها فعلًا، لكن أليس لديك ابن بالغ يقوم بذلك عنك يا «جاني»؟

وبالرغم من أن السيد «سمرز» وكل من بالقرية يعرفون إجابة هذا السؤال جيدًا، لكنه يجب أن يطرح مثل هذه الأسئلة بصفته الرسمية لكونه المسؤول عن السَحب. انتظر السيد «سمرز» إجابة السيدة «دانبر» بأدب واهتمام، وقد أجابته تلك الأخيرة بأن:

- لم يتعد ابني السادسة عشرة بعد، ولهذا سأنوب عن زوجي هذا العام.

قال السيد «سمرز»:

- حسنًا.

قام بتدوين ملاحظة في القائمة التي معه، ثم أردف سائلًا:

- هل سيسحب ابن السيد «واطسون» هذا العام؟

رفع شاب طويل بين الحشد يده مجيبًا:

- أنا! سأسحب لي ولأمي.

رمشت عيناه بقلق وخفض رأسه وهو يسمع بعض الأصوات تعلق بأشياء مثل:

- يا لك من شاب صالح يا «جاك».

-حسنًا، أظن أن الكل حاضر حتى «وارنر» العجوز هنا؟

أجاب صوت من بين الحشد:

- نعم!

صدرت إيماءة عن السيد «سمرز». خيم صمت مفاجئ على الحشد، بينما تنحنح السيد «سمرز» وهو ينظر في قائمة الأسماء قائلًا:

- الكل مستعد؟ الآن سأقرأ أسماء أرباب العائلة أولًا، ثم يتقدم الرجال إلى هنا لسَحب ورقة من الصندوق، حافظوا على الورقة مطوية في اليد دون النظر إليها حتى ينتهي كل فرد

من سَحب ورقته. هل كل شيء واضح؟

قام الناس بتلك العملية لعدة مرات لدرجة أنهم لم يكونوا مهتمين بالاستماع للتعليمات، فبقي معظمهم هادئين، غير مبالين، ثم رفع السيد «سمرز» يده عاليًا وهو يقول:

- «آدمز»!

شق رجل طريقه بين الحشود، وتقدم للأمام. قال السيد «سمرز»:

- مرحبًا يا «ستيف».

- مرحبًا يا «جوي».

هكذا رد عليه «آدمز». ابتسما لبعضهما البعض بقلق، ثم التقط السيد «آدمز» ورقة مطوية من الصندوق الأسود، وأمسك بها بقوة من طرفها، بينما هو عائد إلى مكانه بين الحشد، ووقف بعيدًا عن عائلته دون أن ينظر إلى يده. قال السيد «سمرز»:

- «آلين». «آندرسون». «بينثام»!

قالت السيدة «ديلا كروكس» مخاطبة السيدة «كريفز» وهما جالستان بالصفوف الخلفية:

- كم يمر الوقت سريعًا بين عمليات اليانصيب! أشعر كأننا قد انتهينا من آخر سَحب في الأسبوع الماضي.

علقت السيدة «كريفز»:

- الوقت يمضي بسرعة.

- «كلارك». «ديلا كروكس»!

حبست السيدة «ديلا كروكس» أنفاسها عندما ذهب زوجها للأمام قائلة:

- ها قد ذهب زوجي العجوز!

قال السيد «سمرز»:

- «دانبر»!

تقدمت السيدة «دانبر» بثبات نحو الصندوق، بينما إحدى النساء تقول:

- حظ سعيد يا «جاني»!

وأخرى علقت بقولها:

- ها هي ذاهبة.

قالت السيدة»كريفز»:

- نحن القادمات!

أخذت تراقب زوجها وهو يقترب من جانب الصندوق، قبل أن يقوم بتحية السيد «سمرز»، ويختار قصاصة من الورق من داخل الصندوق.

في تلك اللحظة كان هناك بعض الرجال في الحشد يحملون الأوراق الصغيرة المطوية بأيديهم العريضة، وقد أخذوا يحركونها بتوتر بينما وقفت السيدة «دانبر» بجوار ولديها وهي ممسكة بقصاصة الورق.

- «هربرت». «هاتشنسون»!

قالت السيدة «هاتشنسون» لزوجها:

-اذهب إلى هناك يا «بيل»!

تصاعدت بعض الضحكات من حولها.

- «جونز»!

- يقولون أن سكان القرية الشمالية ينتوون التوقف عن إقامة السحب!

هكذا رد السيد «آدمز» على «وارنر» العجوز الذي وقف بجانبه. أجابه العجوز «وارنر» بازدراء:

- إنهم مجموعة من الحمقى الذين يسمعون كلام صغار السن الذين لا يعجبهم شيء! المرة القادمة ستجدهم يرغبون في العودة للوراء بالزمن للعيش في الكهوف دون أن يعمل أحد! هناك قول مأثور عن الأجداد، «عندما يقام السَحب في يونيو، سرعان ما ستجد الذرة تنمو».

ثم استطرد:

- وقبل أن ندرك، سنجد أننا جميعًا ليس لدينا ما نأكله غير حساء الذرة مع الدجاج! لطالما أقيم السَخب منذ قديم الأزل!

ثم تابع بخشونة :

- ألا يكفينا أن نشاهد «جوي سمرز» الشاب وهو يقود الموضوع ويمازح الجميع!

رد عليه السيد «آدمز»:

- لقد توقفت عمليات السَخب في بعض الأماكن بالفعل.

أجابه «وارنر» العجوز بصرامة:

- لن يجلب لهم ذلك غير المشاكل. إنهم مجموعة من الشباب الحمقى.

- «مارتن»!

وشاهد «بوبي مارتن» والده وهو يتقدم.

- «أوفردايك». «بيرسي»!

- أتمنى لو يسرعوا قليلًا!

هكذا قالت السيدة «دانبر» لأكبر أبنائها.

- لقد شارفوا على الانتهاء.

- استعد للذهاب لتنادي والدك.

نادى السيد «سمرز» نفسه، ثم تقدم للأمام، واختار قصاصة ورق من الصندوق، ثم نادى:

- «وارنر»!

تمتم «وارنر» العجوز وهو يشق طريقه بين الحشد:

- سبع وسبعون سنة وأنا أقوم بالسحب كل عام! سبع وسبعون مرة قمت به!

- «واطسون»!

تقدم شاب طويل بارتباك بين الحشد. خاطبه أحدهم:

- لا تقلق يا «جاك».

وطمأنه السيد «سمرز» بقوله:

- خذ وقتك يا بني.

- «زانيني»!

بعد هذا خيمت لحظات طويلة من الصمت، احتبست فيها الأنفاس، حتى تقدم السيد «سمرز» ملوحًا بقصاصته الورقية في الهواء وقال:

- حسنًا يا رفاق.

تجمد الحشد لدقيقة، ثم فُتِحَت كل الأوراق. بعد هذا بدأت النساء جميعًا تتحدثن في نفس الوقت:

- من؟

- من الذي وقع عليه الاختيار؟

- هل هي عائلة «دانبر»؟

- أهي عائلة «واطسون»؟

ثم هتفت الأصوات قائلة:

- إنها عائلة «هاتشنسون»! لقد وقع الاختيار على «بيل»!

- «بيل هاتشنسون» هو من اختيرا

قالت السيدة «دانبر» لأكبر أبنائها:

- اذهب وأخبر والدك.

بدأ الناس يتلفتون حولهم للبحث عن عائلة «هاتشنسون». كان «بيل هاتشنسون» يقف بهدوء، يحدق في الورقة التي في يده. فجأة صرخت «تيسي هاتشنسون» في وجه السيد «سمرز» قائلة:

- أنت لم تعطه الوقت الكافي ليختار الورقة التي يريدهاالقد رأيتك. هذا ليس عدلًا!

قالت السيدة «ديلا كروكس»:

- تحلي بروح رياضية يا «تيسي».

ثم قالت السيدة»كريفز»:

- جميعنا نحظى بنفس الفرصة.

بينما قال لها «بيل هاتشنسون»:

- اخرسي يا «تيسي»!

بعد ذلك قال السيد «سمرز»:

- حسنًا يا سادة، لقد تم الموضوع بسرعة، لكن يجب الآن أن نسرع قليلًا لإتمام عملنا في الوقت المحدد!

ثم تفحص القائمة التي معه، وقال:

- ستسحب أنت يا «بيل» لعائلة «هاتشنسون». هل هناك أفراد آخرون في عائلة «هاتشنسون»؟

صرخت السيدة «هاتشنسون»:

- هناك «دون» و«إيفا»! دعهما تحظيان بفرصة!

رد عليها السيد «سمرز» بأدب:

- البنات يسحبن مع عائلات أزواجهن يا «تيسي» وأنت تعرفين ذلك جيدًا، كما يعرفه الجميع!

هتفت «تيسي»:

- هذا ليس عدلًا!

قال «بيل هاتشنسون» بندم:

- معك حق يا «جوي». ابنتاي تسحبان مع أسرتي زوجيهما. هذا هو العدل. وليس لي أحد بالعائلة غير الأطفال.

قال السيد «سمرز» موضحًا:

- إذن، فيما يتعلق بالسَحب على كبير العائلة، فهو أنت وفيما يتعلق بالسَحب على رب الأسرة، فهو أنت كذلك، صح؟

-صح.

-كم لديك من أطفال يا «بيل»؟

سأله السيد «سمرز» بلهجة رسمية فأجابه «بيل هانشنسون»:

-ثلاثة. هناك «بيل» الصغير، و«نانسي»، و«ديف» الصغير، و«تيسي»، وأنا.

- حسنًا. وهل استرجعت قصاصاتهم يا «هاري»؟

هز السيد «كريفز» رأسه إيجابًا وهو يمسك بقصاصات الورق. أخبره السيد «سمرز» بالتعليمات:

- ضعها بالصندوق، وخذ ورقة «بيل» وضعها فيه.

قالت السيدة «هانشنسون» بكل ما تمتلك من هدوء:

- أخبرتك أن هذا ليس عدلًا. أنت لم تعطه الوقت الكافي. الكل رأى ذلك! أعتقد أنه ينبغي علينا البدء من جديد.

أخذ «كريفز» قصاصات الورق الخمس ثم وضعها في الصندوق، ورمى جميع الأوراق -ما عدا هذه الخمس- إلى الأرض، فحملها الهواء وقذف بها بعيدًا.

قالت السيدة «هانشنسون» مخاطبة من حولها:

- أصغوا إلي جميعًا!

في حين سأل السيد «سمرز» بهدوء:

- هل أنت جاهز يا «بيل»؟

هز «بيل هانشنسون» رأسه إيجابًا، وهو يرمق زوجته وأولاده بنظرة سريعة. قال السيد «سمرز»:

- تذكر أن تأخذ قصاصات الورق وتُبقيها مطوية حتى يأخذ كل شخص واحدة منها. وأنت يا «هاري»، فلتساعد «ديف» الصغير.

تذكر أنك حملت رواية اليانصيب جاك السفاح حصريا ومجانا من على موقع مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والنادرة والجديدة ولتحميل المزيد ادخل على جوجل واكتب فى خانة البحث مكتبة بيت الحصريات هنظهرلك.

أمسك السيد «كريفز» بيد الصبي الصغير الذي أتى إلى الصندوق في طاعة. قال السيد «سمرز»:

- «نانسي» هي التالية!

كان عمر «نانسي» اثنتي عشرة سنة. حبس زملاؤها في

الفصل أنفاسهم وهي تخطو إلى الأمام، ملوحة بتنورتها أمامًا وخلفًا، ثم التقطت قصاصة الورق بثقة من الصندوق. قال السيد«سمرز»:

- والآن حان دور «بيل» الصغير.

احمر وجه «بيل» الصغير، وتعثرت خطواته، لدرجة أنه كاد أن يصطدم بالصندوق ويوقعه أرضًا وهو يسحب الورقة منه. قال السيد «سمرز»:

-والآن دور «تيسي»!

ترددت تلك الأخيرة للحظة، قبل أن تنظر حولها بتحدٍ، وتتقدم إلى الصندوق وتنتزع ورقة لتمسك بها خلف ظهرها. قال السيد «سمرز»:

- دورك يا «بيل»!

تقدم «بيل هاتشنسون» حتى وصل للصندوق، ومد يده بداخله للحظة، قبل أن تخرج ممسكة بالورقة. وقف الحشد صامتًا كأنما على رؤوسهم الطير.

همست فتاة من بين الحشد:

- أتمنى ألا تكون «نانسي»!

وصلت الهمسة للحشد. قال «وارنر» العجوز بصوت واضح:

- لم تعد الأمور كالسابق، والناس أيضًا لم يعودوا كما كانوا بالماضي.

قال السيد «سمرز»:

- حسنًا. افتحوا الورق. افتح يا «هاري» ورقة «ديف» الصغير.

فتح السيد «كريفز» ورقة «ديف» الصغير ورفعها أمام الحشد الذي تنهد بارتياح عندما وجدوها خالية. فتحت «نانسي» و«بيل» الصغير ورقتيهما في نفس الوقت، وبدأ كلاهما بالضحك، قبل أن يعودا إلى الحشد ممسكين بورقتيهما الخاليتان فوق رأسيهما.

قال السيد «سمرز»:

- «تيسي»!

وساد الصمت لهنيهة، قبل أن ينظر السيد «سمرز» إلى «بيل هاتشنسون»، الذي قام بفتح ورقته ورفعها أمام الجميع فكانت بيضاء من غير سوء.

تنهد السيد «سمرز» قبل أن يقول بنبرة هادئة:

- إنها «تيسي». أرِنا ورقتها يا «بيل»!

تقدم «بيل هاتشنسون» إلى زوجته وانتزع الورقة من يدها عنوة، وكانت فيها نقطة سوداء!

نفس النقطة السوداء التي وضعها السيد «سمرز» في الليلة السابقة لعملية السَحب باستخدام قلم الرصاص الثقيل في مكتبه بشركة الفحم، ورفع «بيل هاتشنسون» الورقة عاليًا أمام الجميع، قبل أن يصدر الضجيج عن الحشد.

قال السيد «سمرز»:

- حسنًا، دعونا ننهِ هذا الأمر بسرعة!

بالرغم من أن سكان القرية قد نسوا التقاليد وفقدوا الصندوق الأسود الأصلي، لكنهم ما زالوا يتذكرون استخدام الحصى، كانت كومة الحصى التي جمعها الأولاد جاهزة، والأحجار متراصة على الأرض مع قصاصات الورق المتطايرة من الصندوق. اختارت السيدة «ديلا كروكس» حجرًا ضخمًا لدرجة أنها التقطته بكلتا يديها، والتفتت إلى السيدة «دانبار» قائلة:

- هيا أسرعي!

كانت السيدة «دانبار» تحمل أحجارًا صغيرة بكلتا يديها.

فأجابتها لاهثة:

- لا أستطيع الركض. تقدموا أنتم وسألحق أنا بكم.

حمل الأطفال الحصى، وأعطى أحدهم «ديف هاتشنسون» الصغير بعضها، بينما وقفت «تيسي هاتشنسون» في منطقة مكشوفة بمنتصف الميدان، ورفعت يديها لأعلى بيأس لتدفع عن نفسها اندفاع أهل القرية نحوها وهي تهتف:

- هذا ليس عدلًا!

وهنا أصابها أول حجر في جانب رأسها!

قال «وارنر» العجوز:

- هلموا تعالوا جميعًا!

كان «ستيف آدمز» في مقدمة حشد القرويين، وبجانبه السيدة «كريفز». وقفت السيدة «هاتشنسون» تصرخ:

- هذا ليس عدلًا! هذا ظلم!

وهنا انقض الحشد برمته عليها ليفتك بها!

تمت

مع تحيات «جاك السفاح»!

روبرت بلوخ

ترجمة محمد عبد العزيز

الفصل الأول

نظرت إلى ممثل المسرح الإنجليزي. وهو الآخر نظر إلي. سألته:

- هل أنت السير «جاي هوليس»؟

- بالفعل. هل تشرفت بلقاء «جون كارمودي»، الطبيب النفسي؟

أومأت برأسي إيجابًا. مررت بعينيّ على زائري المميز. طويل، نحيل، ذو شعر بلون الرمال، وشارب ضخم. وستارة إنجليزية مميزة. شككت بأنه يحمل منظارًا من الطراز ذي العدسة الواحدة مخبأ في جيب سترته، وتساءلت في سري عما إذا كان قد ترك مظلته في المكتب الخارجي.

لكن الأهم من ذلك كله، تساءلت عما دفع السير «جاي هوليس» من السفارة البريطانية للسعي وراء شخص غريب تمامًا هنا في شيكاغو. لم يقم السير «جاي» بتفسير دوافعه

للزيارة أثناء جلوسه. تنحنح، ثم نظر حوله بعصبية، قبل أن ينقر بالغليون الخاص به على جانب المكتب. ثم فتح فمه:

- أيها السيد «كارمودي»، هل سمعت من قبل عن «جاك» السفاح؟

- القاتل الشهير؟

هكذا سألته. أجاب:

- بالضبط. أشهر قاتل بينهم جميعًا وأكثرهم وحشية أسوأ من أي قاتل ظهر على مر التاريخ. «جاك» السفاح، أو كما يطلقون عليه أحيانًا، «جاك» الأحمر.

قلت:

- لقد سمعت عنه بالتأكيد.

- هل تعرف تاريخه؟

- لا أعتقد أننا سنصل لأي شيء بتبادل حكايات الزوجات العجائز عن جرائم التاريخ الشهيرة.

أخذ نفسًا عميقًا قبل أن يجيب:

- هذه ليست حكايات زوجات عجائز. إنها مسألة حياة أو موت.

لقد كان منغمسًا في هوسه لدرجة التحدث بهذه الطريقة الغريبة. حسنًا، يجب أن أعترف أنني كنت على استعداد للاستماع. نحن الأخصائيين النفسيين نتقاضى أجرنا مقابل الاستماع. قلت له:

- تفضل. دعنا نرَ ما لديك.

أشعل السير «جاي» سيجارة وبدأ يتحدث:

- «لندن»، سنة ١٨٨. بأواخر الصيف وأوائل الخريف. كان هذا هو الوقت الذي تدور به قصتنا. ظهرت شخصية «جاك» السفاح الغريبة، شخص يظهر وسط الظلام يحمل سكينًا، تجول عبر منطقة «إيست إند» في «لندن». يطارد صاحبات الحظ البائس في منطقتا «وايت شابيل» و«سبيتفيلدز». لا أحد يعرف من أين جاء. لكنه جلب الموت. موت بسكين. نزلت تلك السكين ست مرات لقطع رقاب وأجساد ست نساء من لندن. مومسات وفتيات ليل من الطبقة الوضيعة.

كان السابع من أغسطس هو تاريخ أول مذبحة. وجدوا جثتها ملقاة هناك مع تسعة وثلاثين جرحًا. جريمة قتل مروعة. ويوم ٣١ أغسطس، سقطت ضحية أخرى. ثار اهتمام الصحافة بالموضوع. وكان سكان الأحياء الفقيرة أكثر اهتمامًا. من كان هذا القاتل المجهول الذي طاف وسطهم

وطعن بتلك الثقة في الأزقة المهجورة وسط المدينة بالليل؟ والسؤال الأكثر أهمية متى سيضرب ضربته مرة أخرى؟ كان الثامن من سبتمبر هو تاريخ الضربة الثالثة. قامت السكوتلانديارد بتكليف محققين خاصين بالموضوع. انتشرت الشائعات. كانت طبيعة القتل الشنيعة موضوع التكهنات والمحادثات. القاتل استخدم سكينًا، بخبرة. قطع الحلق وأزال أجزاءً معينة من الجثث بعد الموت. اختار الضحايا والأماكن لهدفه الشيطاني بذكاء. لم يره أحد أو يسمعه. لكن تعثر رجال الحراسة أثناء جولاتهم في الفجر بالجسد الساكن الذي اخترقته عشرات الطعنات صنيعة السفاح. من كان؟ ماذا كانت مهنته؟ جراح مجنون؟ جزار؟ عالم مجنون؟ مختل هرب من مصحة عقلية؟ نبيل مختل؟ عضو في شرطة لندن؟ ثم ظهرت القصيدة في الصحف. قصيدة مجهولة المصدر، مصممة لوضع حد للتكهنات؟ لكنها لم تؤد إلا إلى زيادة الاهتمام العام لدرجة الجنون.

قصيدة صغيرة ساخرة، وكانت كلماتها:

لست جزارًا،

ولا يهوديًا وحيدًا،

ولا حتى أجنبيًا،

لكنني صديقك الحقيقي بالتأكيد،

مع تحيات «جاك» السفاح.

وفي ٣٠ سبتمبر، ذبحت ضحيتان أخريان! خيم الصمت والذعر على مدينة لندن. خوف مجهول. متى سيضرب «جاك» الأحمر مرة أخرى؟ انتظروا طوال شهر أكتوبر. شعروا أن كل قطعة من الضباب تخفى وجوده الشبحي. أخفته جيدًا -لأنه لم يُتعرف على أي شيء عن هوية السفاح، أو غرضه. ارتجفت لندن كلها في مهب ريح أوائل نوفمبر. ارتجفوا، وكانوا شاكرين قدوم شمس كل صباح وهم لا يزالون أحياء. وفي ٩ نوفمبر، وجدوها في غرفتها. كانت تستلقي هناك بهدوء شديد، والأطراف مرتبة بدقة. وبجانب جسدها، بنفس الترتيب، وضع ثدييها وقلبها!

لقد تفوق السفاح على نفسه في القتل هذه المرة.

ثم حل الذعر محل الخوف. لكن الذعر لا داعي له. على الرغم من أن الصحافة، والشرطة، والجماهير على حد سواء انتظروا في رعب، لم يضرب «جاك» السفاح ضربة أخرى.

مرت الشهور، وتجمعت في صورة سنة. مات اهتمام الجماهير

ولكن الذكرى بقيت. قالوا إن «جاك» قد نقل نشاطه إلى أمريكا. قالوا أنه انتحر. قالوا وكتبوا. كتبوا منذ ذلك الحين الكثير من النظريات، والفرضيات، والحجج، والأطروحات. لكن حتى يومنا هذا لا أحد يعرف من كان «جاك» السفاح. أو لماذا قتل. أو لماذا توقف عن القتل.

ثم صمت السير «جاي». من الواضح أنه توقع بعض التعليقات مني.

قلت له:

- أنت تحكي القصة جيدًا. على الرغم من انحياز عاطفي طفيف واضح.

-أفترض أنك تريد أن تعرف لماذا أنا مهتم؟

-نعم. هذا بالضبط ما أود أن أعرفه.

قال السير «جاي هوليس»:

- لأنني منطلق في أثر «جاك» السفاح الآن. أعتقد أنه هنا، في شيكاغو!

- أظنني أخطأت بالسماع. كرر ذلك مجددًا.

-«جاك» السفاح على قيد الحياة، في شيكاغو، وأنا سأعثر

عليه.

لم يكن يبتسم. لم تكن مزحة. قلت:

- انظر. ما هو تاريخ هذه الجرائم؟

-أغسطس إلى نوفمبر ١٨٨٨.

-١٨٨٨؟ ولكن إذا كان «جاك» السفاح رجلًا عاش في عام ١٨٨٨، سيكون بالتأكيد ميتًا اليوم! لماذا تبحث عنه يا رجل، إذا كانت مجرد ولادته في تلك السنة ستجعله في السابعة والخمسين اليوم!

- أتظن هذا عنه؟

ابتسم السير «جاي هوليس». استطرد:

- أو يجب أن أقول، «عنها؟» لأن «جاك» السفاح قد يكون امرأة. أو العديد من الاحتمالات الأخرى.

قلت:

- سيد «جاي». لقد أتيت إلى الشخص المناسب عندمابحثت عني. أنت بالتأكيد بحاجة إلى مساعدة طبيب نفساني.

- ربما. أخبرني يا سيد «كارمودي»، هل تعتقد أنني مجنون؟

نظرت إليه وهززت كتفي. لكن كان علي أن أعطيه إجابة

صادقة.

- بصراحه لا.

- إذن يمكنك الاستماع إلى أسباب اقتناعي بأن «جاك» السفاح على قيد الحياة اليوم.

- يمكنني.

- لقد درست هذه الحالات لمدة ثلاثين عامًا. ذهبت لمكان الجرائم الأصلية. تحدثت إلى المسؤولين. تحدثت إلى أصدقاء ومعارف البائسين الذين قُتِلوا. زرت الأماكن مع رجال ونساء من الحي. جمعت مكتبة كاملة من المواد التي تتطرق إلى موضوع «جاك» السفاح. درست كل النظريات الجامحة أو المفاهيم المجنونة. علمت القليل. ليس كثيرًا ولكن قليل. لن أثير مللك بسرد استنتاجاتي. لكن كان هناك فرع آخر أثمر نتائج أكثر أهمية. درست الجرائم التي لم تُحل. جرائم القتل. يمكنني أن أريك قصاصات من جرائد من أعظم مدن العالم. سان فرانسيسكو. شنغهاي. كلكتا. باريس. برلين. بريتوريا. القاهرة. ميلان. اديلايد. هناك نمط واحد. جرائم غير محلولة. قطع حناجر النساء. مع التشوه الغريب وعمليات انتزاع الأعضاء. نعم، لقد اتبعت خيط من الدماء. من نيويورك غربًا عبر القارة. ثم إلى المحيط الهادئ. من هناك إلى إفريقيا.

خلال الحرب العالمية ١٩١٤-١٩١٨ كانت تحدث في أوروبا. بعد ذلك بجنوب أمريكا. ومنذ عام ١٩٢٠، عادت الجرائم للولايات المتحدة مرة أخرى. سبع وثمانون جريمة قتل من هذا القبيل، وبالنسبة لعلماء الجريمة المحترفين، كانوا جميعهم يحملون بصمة «جاك» السفاح. مؤخرًا كان هناك ما يسمى بجرائم قتل مجنون كليفلاند. أتذكرها؟ سلسلة مروعة. وأخيرًا، حالتا وفاة مؤخرًا في شيكاغو خلال الستة شهور الماضية واحدة في جنوب ديربورن والأخرى بمكان ما في هالستيد نفس نوع الجريمة ونفس التقنية أقول لك، هناك مؤشرات لا لبس فيها في كل هذه الجرائم مؤشرات على عمل «جاك» السفاح!

قلت:

- نظرية محكمة للغاية. لا أشكك في الأدلة التي لديك على الإطلاق، أو الاستنتاجات التي توصلت لها. أنت عالم الجريمة، وسآخذ كلمتك على محمل الجد. بقي شيء واحد فقط ليشرَح. ربما كانت نقطة بسيطة، لكنها جديرة بالذكر.

سأل السير «جاي»:

- وما هي؟

- فقط كيف يمكن لرجل، دعنا نقل أنه في الخامسة

والثمانين من عمره، ارتكاب هذه الجرائم؟ لأنه إذا كان «جاك» السفاح بحوالي الثلاثين من عمره مثلًا في عام ١٨٨وعاش، فلا بد أنه يبلغ من العمر خمسة وثمانين عامًا اليوم.

- افترض أنه لم يكبر؟

هكذا همس سيد «جاي». هتفت مصدومًا:

- ماذا؟

- لنفترض أن «جاك» السفاح لم يتقدم في السن؟لنفترض أنه ما زال شابًا اليوم؟ أعلم إنها نظرية مجنونة، لكن كل تلك النظريات حول السفاح مجنونة فكرة أنه كان طبيبًا أو مجنونًا أو امرأة الأسباب المتقدمة لمثل هذه المعتقدات واهية بما فيه الكفاية ولا يمكن تصديقها لهذا فإن فكرتي الأخيرة بكل تأكيد لن تكون أسوأ، أليس كذلك؟

- محضرو الأرواح وممارسو النيكرومانسي. والسحرة. ممارسو السحر الأسود. ماذا عنهم؟

- ماذا تقصد؟

قال السير «جاي»:

- لقد درست كل شيء. بعد فترة بدأت في دراسة مواعيد

جرائم القتل. النمط الذي تشكلت به تلك التواريخ. الإيقاع. إيقاع حركة الشمس والقمر والنجوم. الجانب الفلكي. الدلالة الفلكية. لنفترض أن «جاك» السفاح لم يقتل من أجل القتل وحده؟ افترض أنه أراد أن يقدم أضحية؟

- أي نوع من الأضحية؟

هز السيد «جاي» كتفيه:

- يقال أنك لو قدمت الدم لآلهة الظلام فإنهم يمنحون النعم نعم، إذا قُدمت قربان الدم في الوقت المناسب، عندما يكون القمر والنجوم بالموضع المناسب من السماء -ومع الطقوس المناسبة- تقوم تلك الآلهة بمنحك الكثير من الهبات ومنها هبة الشباب . الشباب الأبدي!

- لكن هذا هراء!

- لا. هذا هو «جاك» السفاح.

وقفت. قلت له:

- هذه واحدة من أكثر النظريات إثارة. لكن لماذا أتيت إلى هنا لتخبرني بذلك؟ أنا لست ذا سلطة في السحر. أنا لست ضابط شرطة أو عالم الجريمة. أنا طبيب نفسي. ما العلاقة؟

ابتسم السير «جاي»:

- أنت مهتم إذن؟

- نعم. لا بد أن يكون هناك هدف ما.

- هنالك هدف طبعًا. لكنني أردت أن أطمئن من نقطة اهتمامك أولًا. الآن يمكنني إخبارك بخطتي.

- وما هي هذه الخطة بالضبط؟

ألقى السير «جاي» نظرة طويلة عليّ. قال:

- «جون كارمودي»، أنا وأنت ذاهبان للقبض على «جاك» السفاح!

****

الفصل الثاني

هذه هي الطريقة التي حدث بها الأمر. لقد وصفت جوهر تلك المقابلة الأولى بكل ما فيها من تفاصيل معقدة ومملة إلى حد ما، لأنني أعتقد أنها مهمة. تساعد على إلقاء بعض الضوء على شخصية السير «جاي» وسلوكه، وتفسر ما حدث بعد ذلك نوعًا ما. لكنني سأذكر تلك الأمور لاحقًا.....

كان تفكير السير «جاي» بسيطًا. لم يكن ما لديه فكرة حتى.

مجرد حدس. قال لي:

- أنت تعرف الناس هنا. لقد استفسرت عنك. لهذا السبب أتيت إليك، بصفتك الرجل المثالي لغرضي. يوجد بين معارفك العديد من الكتاب والرسامين والشعراء. المثقفون المزعومون. لأسباب معينة -بغض النظر عن ماهيتها- تقودني القرائن إلى استنتاج أن «جاك» السفاح هو واحد من تلك النوعية. اختار أن يتظاهر بأنه شخص غريب الأطوار. لدي شعور بأنك لو أخذتني هنا وهناك وعرّفتني على مجموعتك، قد أصل للشخص المطلوب.

قلت:

- لا مانع عندي لكن كيف ستبحث عنه؟ كما قلت، قد يكون أي شخص وليس لديك فكرة عما يبدو عليه قد يكون صغيرًا أو كبيرًا في السن قد يكون «جاك» السفاح رجلًا غنيًا أو فقيرًا، شحاذًا، لصًا، طبيبًا، محاميًا، كيف ستعرف؟

- سوف نرى.

ثم تنهد السير «جاي» بصوتٍ عالٍ.

- لكن يجب عليّ أن أجده. بأسرع وقت.

- لماذا العجلة؟

تنهد السيد «جاي» مرة أخرى.

- لأنه سيقتل من جديد خلال يومين!

- هل أنت متأكد؟

- متأكد. لقد رسمت هذا الرسم البياني، كما ترى، تتوافق كل جرائم القتل مع بعض الإيقاعات الفلكية المعينة. إذا قام، كما أظن أنه سيفعل، بتقديم أضحية الدم لتجديد شبابه، يجب أن يقتل في غضون يومين. لاحظ نمط جرائمه الأولى في لندن ٧ أغسطس ثم ٣١ أغسطس ٨ سبتمبر ٣٠ سبتمبر ٩ نوفمبر فترات تفصل بينهن بمبدأ ٢٤ يومًا، ٩ أيام، ٢٢ يومًا -قتل اثنين هذه المرة- ثم ٤٠ يومًا بالطبع كانت هناك جرائم بينها يجب أن يكون لم يكتشفوها أو يربطوها به. على أي حال، لقد توصلت إلى النمط الذي يتبعه، بناءً على جميع ما لدي من معلومات. وأقول أنه خلال اليومين التاليين سوف يقتل. لذلك يجب أن أبحث عنه بطريقة ما وأصل له قبل ذلك

- وما زلت أسألك عما تريد مني أن أفعله.

قال السير «جاي»:

- تصحبني للخارج. أريدك أن تعرّفني على أصدقائك. خذني

إلى الحفلات.

- ولكن من أين أبدأ؟ بقدر ما أعرف، فإن كل أصدقائي، على الرغم من انحرافاتهم، جميعهم أشخاص عاديون.

- وهكذا سيبدو السفاح. طبيعي وعادي تمامًا. ما عدا في ليال معينة.

ومرة أخرى، ارتسمت تلك النظرة الشاردة في عيني السير «جاي» وهو يستطرد:

- ثم يصبح وحشًا مريضًا دائم الشباب، يتربص ليقتل.

قلت:

- حسنًا.. حسنًا.. سآخذك.

وضعنا خططنا. وفي ذلك المساء أخذته إلى استوديو «ليستر باستون». وبينما كنا نصعد إلى الشقة العلوية في المصعد انتهزت الفرصة لتحذير السير «جاي»:

- «باستون» غريب الأطوار بعض الشيء. وكذلك ضيوفه. كن مستعدًا لأي شيء وكل شيء.

- أنا مستعد.

كان السير «جاي هوليس» جادًا تمامًا. وضع يده في جيب

بنطاله وأخرج مسدسًا. هتفت:

- ماذا تفعل!

قال السير «جاي»:

- إذا رأيته سأكون جاهزًا.

لم يبتسم. هو لا يمزح.

- لكن لا يمكنك التجوال في حفلة وأنت تحمل مسدسًا في جيبك يا رجل!

- لا تقلق، لن أتصرف بحماقة.

فكرت. لم يكن السير «جاي هوليس»، في رأيي رجلًا عاديًا. خرجنا من المصعد، وتوجهنا نحو باب شقة «باستون». تمتمت:

- بالمناسبة، كيف تريدني أن أقدمك لهم؟ هل أقول لهم من أنت وماذا تبحث عنه؟

- لا أهتم. ربما سيكون من الأفضل أن أكون صريحًا.

- ولكن ألا تعتقد أن السفاح -إذا كان من بمعجزة ما موجودًا- سيهرب على الفور ويختفي؟

قال السير «جاي»:

- أعتقد أن صدمة إعلان أنني أطارد السفاح من شأنها أن تتسبب في تصرف تلقائي منه من شأنه أن ينبهني.

- إنها نظرية جيدة. لكني أحذرك، سوف تكون عرضة للكثير من المشاكل. هذه مجموعة جامحة من البشر.

ابتسم السير «جاي». أعلن:

- أنا مستعد، فلا تقلق، لأن لدي خطة صغيرة. فقط لا تنصدم من أي شيء أفعله..

أومأت موافقًا ثم قمت بالطرق على الباب. فتحه «باستون». كانت عيناه حمراوين مثل ثمار الكرز. كان يتأرجح ذهابًا وإيابًا حولنا بشكل مزعج. حدق في قبعتي ذات النقش المربع وشارب السير «جاي». ردد:

- آها. مرحبًا مرحبًا.

قدمت السير «جاي» له. قال «باستون»:

- تشرفنا بلقائك.

وأشار إلينا أن ندخل بإيماءة راقية تعثر وراءنا في قطع أثاث الصالون حدقت في الحشد الذي تحرك بنشاط من خلال

ضباب دخان السجائر كانت الحفلة في أوجها بهذا المساء حملت كل يد كأسًا من الشراب بدا كل وجه محمرًا بعض الشيء من أثر الخمر.

كان هناك عازف عاكف على البيانو في إحدى الزوايا يعزف مقطوعة كلاسيكية.

ألقى السير «جاي» بنظرة فاحصة شاملة للمكان على الفور. رأى «لافييم جونيستر» الشاعرة، وتبادل النظرات مع «هايمي كراليك»، وشاهد هذا الأخير وهو يجلس على الأرض ويبكي حتى داس «ديك بول» بالخطأ على بطنه وهو متجه إلى غرفة الطعام لتناول مشروب. سمع «نادية فيلينوف»، ممثلة الإعلانات، تقول لـ«جوني أودكوت» أنها تعتقد أن الوشم الذي يرسمه كان ذا ذوق مروع، ورأى «باركلي ميلتون» يزحف تحت منضدة غرفة الطعام مع زوجة «جوني أودكوت». كانت ملاحظاته -كما لو كان يراقب حيوانات- لتستمر للأبد لو لم يتقدم «ليستر باستون» إلى منتصف الغرفة ويطلب بعض الصمت بإسقاط مزهرية على الأرض. ارتفع دوى تحطم المزهرية بينما صرخ «ليستر»، وهو يلوح بكأسه الفارغ في اتجاهنا:

- لدينا زائران مميزان اليوم. هذا الفظ هو السير «جاي

هوليس»، من السفارة البريطانية. وأما البائس الآخر، كما تعلمون جميعًا، هو صديقنا «جون كارمودي»، محتال يكسب راتبه من إيهام الناس أنهم مرضى نفسيون.

ثم استدار وأمسك بذراع السير «جاي»، وجره حتى منتصف السجادة. للحظة اعتقدت أن «هوليس» قد يعترض، لكن غمزة سريعة منه طمأنتني. كان مستعدًا لهذا. قال «باستون» بصوت عالٍ:

- إنها عادتنا يا سيدي «جاي» أن نخضع أصدقاءنا الجدد لاستجواب بسيط. القليل من الشكليات في هذه التجمعات الرسمية للغاية، أنت تفهم. هل أنت مستعد للإجابة على الأسئلة؟

أومأ السير «جاي» وابتسم. تمتم «باستون»:

- جيد جدًا. أيها الأصدقاء، أعطيكم الحق في استجواب هذا العزيز من بريطانيا. اعرفوا منه كل شيء.

ثم بدأت وصلة التعذيب. أردت الاستماع، ولكن رأتني «ليديا داري» في تلك لحظة وجرتني نحو الدهليز لتجري معي واحدًا من تلك الأحاديث المملة عن أنها اشتاقت لي وانتظرت مني أن أتصل بها طوال اليوم. بحلول الوقت الذي تخلصت

فيه منها وعدت، كانت جلسة الاختبار الفوري تجري على قدم وساق. من تصرفات الحشد، خمنت أن السير «جاي» كان يتصرف بشكل جيد بمفرده. ثم أقحم «باستون» نفسه بسؤال أفسد الخطة كلها:

- هل لي أن أسأل، ماذا أتى بك ومطنا الليلة؟ ما هي مهمتك يا صديقي؟

- أنا أبحث عن «جاك» السفاح.

لم يضحك أحد. ربما أذهلهم الخبر كما فعل بي. نظرت إلى جيراني وبدأت في التساؤل. «لافييم جونيستر». «هايمي كراليك». كلاهما غير مؤذٍ. «ديك بول». «نادية فيلينوفل». «جوني أودكوت» وزوجته. «باركلي ميلتون». «ليديا داري». كلهم غير ضارين. ولكن يا لها من ابتسامة غريبة تلك التي ارتسمت على وجه «ديك بول»! وتلك الابتسامة الخبيثة الواعية التي ارتسمت على شفتي «باركلي ميلتون»! أوه، كان الأمر سخيفًا، أوافقكم الرأي. لكنني للمرة الأولى رأيت هؤلاء الناس في ضوء جديد. تساءلت عن حياته، حياتهم السرية وراء كواليس الحفلات. كم منهم كانوا يلعبون دورًا؟ كم منهم يخفون شيئًا ما؟ من هنا يعبد آلهة الظلام ويمنح تلك الأضحيات الدموية اللعينة؟ حتى «ليستر باستون» نفسه قد

يكون متنكرًا.

كان الاحتمال يتناسب معنا جميعًا لو فكرت للحظة. رأيت التساؤلات تلتمع في دائرة العيون حول الغرفة. وقف السير «جاي» هناك، ويمكنني أن أقسم أنه كان مدركًا للموقف الذي تسبب به، واستمتع به. تساءلت بلا مبالاة ما هو خطبه. لماذا كان لديه هذا التشبث الغريب فيما يتعلق بـ«جاك» السفاح؟

ربما كان يخفي بعض الأسرار أيضًا....

كسر «باستون» أجواء الصمت بأن قال:

- الرجل لا يمزح يا أصدقاء.

ثم خبط بيده على ظهر السير «جاي» ولف ذراعه بذراع الزائر.

- ابن عمنا الإنجليزي منطلق حقًا في أثر «جاك» السفاح. كلكم تتذكرون «جاك» السفاح على ما أفترض! كان شهيرًا للغاية بالماضي. يعتقد صديقنا أن السفاح لا يزال على قيد الحياة، ربما يتجول حول شيكاغو ومعه سكين جزار.

توقف «باستون» للحظة قبل أن يكمل:

- في الواقع، هو لديه سبب للاعتقاد بأن «جاك» السفاح قد

يكون بيننا هنا الليلة!

كان هناك رد فعل متوقع من الضحك والابتسامات. أخذ «باستون» يتأمل «ليديا دبير» بسخرية وقال:

- لا حاجة بكن للضحك يا فتيات.

ابتسم وأكمل:

- «جاك» السفاح قد يكون امرأة أيضًا، كما تعلمن. هناك نظرية تقول أنه امرأة تدعى «جيل» السفاحة.

صرخت «لافييم جونيستير» وهي تتجه نحو السير «جاي»:

- هل تقصد أنك تشك بالفعل في أحدنا؟ لكن، لقد اختفى «جاك» السفاح منذ زمن بعيد، أليس كذلك؟ في عام ١٨٨٨؟

- آها!

قاطع «باستون»:

- كيف تعرفين كل ذلك عنه أيتها الشابة؟ يبدو هذا مريبًا! راقبها جيدًا يا سيد «جاي»، قد لا تكون صغيرة كما تظهر. هاته السيدات الشاعرات لهن ماض غامض.

ذهب التوتر، وتحطمت غلالة الاستغراب، وبدأت أجواء الحفل الخفيفة تعود من جديد.

أخذ الرجل الذي يعزف الموسيقا يتأمل البيانو وقد ارتسم بريق ضاحك في عينيه. كانت «ليديا داري» تنظر نحو المطبخ في انتظار أخذ استراحة لتناول مشروب آخر. ثم هتف «باستون» فجأة:

- خمنوا ماذا؟ صديقنا الإنجليزي لديه مسدس.

انزلقت ذراعه وتحسست المسدس الذي برزت حدوده في جيب السير «جاي». ثم انتزعه قبل أن تتاح الفرصة لـ«هوليس» للاعتراض!

حدقت بشدة في السير «جاي»، متسائلًا عما إذا كان هذا الموضوع قد تمادى أكثر من اللازم. لكنه غمز لي وتذكرت أنه أخبرني قبلًا ألا أشعر بالذعر مهما حدث. لذلك انتظرت صامتًا بينما أخذ «باستون» يتحدث وهو يترنح من أثر الخمر، فهتف قائلًا:

- دعونا نلعب لعبة مع صديقنا هذا. لقد جاء طول الطريق من إنجلترا إلى حفلتنا لأداء هذه المهمة. إذا لم يكن أي منكم على استعداد للاعتراف، أقترح أن نعطيه فرصة الاكتشاف بمفرده، بالطريقة الصعبة.

سأل «جوني أودكوت»:

- ماذا تقصد؟

- سأطفئ الأنوار لدقيقة واحدة. يستطيع السير «جاي» الوقوف هنا مع مسدسه. إذا كان أي شخص في هذه الغرفة هو السفاح يمكنه إما للهروب أو اغتنام الفرصة للقضاء على مطارده. أهذا عادل بما فيه الكفاية؟

لقد كان كلامه أكثر سخافة مما يبدو، لكنه أشعل اهتمام الموجودين. لم يسمع أحد احتجاجات السير «جاي» في خضم الثرثرة التي تلت ذلك. وقبل أن أتفوه بكلمة، وصل «ليستر باستون» إلى قابس الضوء!

أعلن وهو يتظاهر بالجدية:

- لا أحد يتحرك، لدقيقة واحدة سنبقى في الظلام، ربما تحت رحمة قاتل في نهاية ذلك الوقت، سأشعل الأنوار مرة أخرى وأبحث عن جسد من سيوقعه حظه السيئ بجوار القاتل اختاروا من تقفون بجوارهم سيداتي وسادتي

انطفأت الأنوار

ضحك أحدهم

سمعت خطى في الظلام. تمتمات.

شعرت بيد تلامس وجهي.

دقت الساعة على معصمي بعنف. لكن كان هناك صوت أعلى، يعلو صوت الساعة، سمعت دويًا آخر. نبضات قلبي.

غباء. الوقوف في الظلام مع مجموعة من السكارى الحمقى. ومع ذلك كان هناك رعب حقيقي كامن هنا، يتنقل عبر هذا الظلام المخملي.

طاف «جاك» السفاح الحقيقي في ظلام مثل هذا. وكان لدى «جاك» السفاح سكينًا. وكان لدى «جاك» السفاح عقل مختل مجنون وهدف مجنون هو الآخر.

لكن «جاك» السفاح كان ميتًا وتحول لتراب منذ سنوات عديدة بموجب كل قانون من قوانين الطبيعة. لكن سطوة قوانين الطبيعة تختفي عندما تشعر بنفسك وسط الظلمة، ظلام يمكن أن يختفي فيه أي شخص ويحتمي، وينزلق عنه القناع الذي يضعه أمام الجميع طيلة اليوم، ويشعر بشيء يعتمل بداخل روحه، هدف غريب عديم الشكل وهو الاقتران بهذا الظلام.

صرخ السير «جاي هوليس»!

تصاعد صوت سقوط شيء -أو جسد- على الأرض!

أشعل «باستون» الأضواء.

وصرخ الجميع!

استلقى السير «جاي هوليس» على الأرض في منتصف الغرفة. كان المسدس لا يزال بيده. ألقيت نظرة خاطفة على الوجوه، وتعجبت من تنوع التعبيرات التي ترتسم على وجوه البشر عند مواجهة رعب. كل الوجوه كانت موجودة. لم يهرب أحد. ومع ذلك، استلقى السير «جاي هوليس» هناك.

كانت « لافييم جونيستر» تنتحب وتخفي وجهها.

- حسنًا.

تدحرج السير «جاي» وقفز على قدميه. كان يبتسم.

- مجرد تجربة، إيه؟ لو كان «جاك» السفاح بين الحاضرين، واعتقد أنني قد قُتلت، كان سيفضح نفسه بطريقة ما عندما تشتعل الأضواء ويراني مستلقيًا هناك. أنا مقتنع ببراءتكم جميعًا. هذه مجرد دعابة ساخرة لطيفة يا أصدقائي.

حدق «هوليس» في «باستون» المصعوق وبقية من يتزاحمون خلفه. اتجه بكلامه نحوي:

- هل نرحل يا «جون»؟ لقد تأخر الوقت على ما أعتقد.

اتجه إلى خزانة المعاطف. تبعته. لم يتفوه أحد ولو بكلمة واحدة.

صارت الحفلة مملة جدًا بعد هذا.

****

الفصل الثالث

التقيت بالسير «جاي» في المساء التالي كما اتفقنا، عند تقاطع شارع ٢٩ و«ساوث هالستيد».

بعد ما حدث في الليلة السابقة، صرت مستعدًا لأي شيء تقريبًا. لكن بدا أن السير «جاي» جاد اليوم ومتجمد الأسارير وهو يقف مستندًا على مدخل بيت عتيق منتظر ظهوري.

- بخ!

هكذا هتفت وأنا أقفز أمامه فجأة. ابتسم. فقط حركة خفيفة من يده اليسرى أشارت إلى أنه قد مد يده غريزيًا نحو مسدسه عندما قمت بمفاجئته. سألته:

- هل كل شيء جاهز لمطاردتنا؟

- نعم.

قالها وأومأ برأسه. أكمل:

- أنا سعيد لأنك وافقت على مقابلتي دون طرح أسئلة. هذا يظهر أنك تثق في حكمي.

أخذ ذراعي وقادني عبر الشارع ببطء. قال السير «جاي هوليس»:

- الليلة ضبابية يا «جون». مثل لندن.

أومأت موافقًا.

- وباردة أيضًا، بالنسبة لشهر نوفمبر.

أومأت برأسي مرة أخرى وارتجفت. قال السير «جاي»:

- شيء مثير للفضول، ضباب مثل ضباب لندن ونوفمبر. المكان والوقت المثاليين لسقوط ضحايا السفاح.

ابتسمت وسط الظلام.

- دعني أذكرك يا سيد «جاي» أن هذه ليست لندن، بل شيكاغو. وهو ليس كذلك شهر نوفمبر ١٨٨٨. لقد مر أكثر من خمسين عامًا.

رد السير «جاي» ابتسامتي بمثلها، لكن بدون سعادة. غمغم:

- لست متأكدًا من هذه النقطة. انظر حولك. تلك الأزقة المتشابكة والشوارع الملتوية. إنهم مثل حي «إيست إند»

بانجلترا. ساحة «ميتري». وبالتأكيد هم عتيقو المظهر كما لو أن عمرهم خمسون عامًا على الأقل.

قلت بعد قليل:

- أنت في منطقة السود في شارع «ساوث كلارك»، ولماذا جررتني إلى هنا، ما زلت لا أعرف.

اعترف السير «جاي»:

- إنه حدس. مجرد حدس من جهتي يا «جون». أريد أن أتجول هنا. هناك تشابه شديد بين هذه الشوارع والشوارع التي طاف بها السفاح. هذا هو المكان الذي سنجده فيه يا «جون». ليس وسط الأضواء الساطعة والزحام، ولكن هنا في الأسفل وسط الظلام. الظلام حيث ينتظر ويهجم.

سألته:

- أليس هذا سبب إحضارك للمسدس؟

كنت غير قادر على إخفاء نبرة العصبية الساخرة من صوتي. كل هذا الكلام، وكل هذا الهوس المستمر بـ«جاك» السفاح، كل هذا أثار أعصابي أكثر مما توقعت. قال السير «جاي» بجدية:

- قد نحتاج إلى سلاح. بعد كل شيء، الليلة هي الليلة

المنشودة.

تنهدت. تجولنا عبر الشوارع المهجورة المليئة بالضباب. التمع ضوء خافت هنا وهناك أعلى مداخل البارات. خلاف ذلك، كان كل شيء غارقًا وسط الظلام. لاحت في الأفق أزقة عميقة بينما تقدمنا عبر شارع جانبي مائل. زحفنا عبر ذلك الضباب، صامتين، مثل اثنين من الديدان الصغيرة تتخبط داخل كفن. قلت:

- ألا ترى أنه لا يوجد غيرنا في هذه الشوارع؟

قال السير «جاي»:

- لا بد أن يأتي هنا. هذا ما كنت أبحث عنه. هذا مكان مناسب له. بقعة شريرة تجذب الشر. دائمًا عندما يذبح، يفعلها في العشوائيات. كما ترى، لا بد أن هذا أحد نقاط ضعفه. عنده افتتان بالقذارة. إلى جانب ذلك، النساء اللاتي يحتاجهن للتضحية يجدهن بسهولة أكبر في مثل هذه المناطق.

اقترحت:

- حسنًا، دعنا نذهب إلى إحدى الحانات. أنا أشعر بالبرد وبحاجة إلى مشروب. هذا الضباب الملعون يدخل في عظامك. أنتم البريطانيين تستطيعون تحمل ذلك، لكني أفضل

الدفء والحرارة.

خرجنا من شارعنا الجانبي ووقفنا على عتبة الزقاق. لمحت ضوءاً أزرقَ خافتًا من خلال سُحب الضباب البيضاء، يعود لمصباح عارٍ يتدلى من لافتة بيرة فوق حانة بالزقاق.

قلت:

- دعنا نغتنم الفرصة. لقد بدأت أصاب بقشعريرة.

قال السير «جاي»:

- حسنًا، هيا بنا.

تقدمت عبر الزقاق وهو من خلفي. توقفنا أمام باب الحانة. سأل:

- ماذا تنتظر؟

قلت له:

- كنت أتفقد المكان فقط. هذا حي قاسٍ يا سيد «جاي». لا تعرف أبدًا ما الذي قد يصادفك بالداخل. وأنا أفضل ألا نصادف أي أشخاص عنيفين. بعض هذه الأماكن تستاء من العملاء البيض.

- فكرة جيدة يا «جون».

انتهيت من فحصي للمدخل. تمتمت:

- تبدو مهجورة. دعنا نجربها.

دخلنا حانة قذرة. التمع وميض ضوء ضعيف فوق النضد والكراسي الموجودة أمامه، لكنه فشل في اختراق الكآبة المسيطرة على المقصورات الخلفية. لمحت رجلًا أسودَ ضخمًا خلف البار. لم يتحرك عندما دخلنا، لكن عينيه انفتحتا تمامًا فجأة وعرفت أنه لاحظ وجودنا وكان يقيمنا. قلت، محاولًا أن أبدو خشنًا:

- عمت مساء.

أخذ وقته قبل الرد. لا يزال يقيمنا. ثم ابتسم.

- عمتما مساء أيها السادة. ما طلبكما؟

قلت:

- جين. اثنان من الجين. إنها ليلة باردة.

- هذا صحيح أيها السادة. ليلة باردة.

ثم صب لنا، دفعت الحساب، وأخذت الأكواب نحو إحدى المقصورات. شربنا ما بهما سريعًا. ذهبت إلى البار وجلبت الزجاجة. سكبت أنا وسيد «جاي» لأنفسنا شرابًا آخر.

عاد الرجل الضخم إلى غفوته، بعين حذرة نصف مفتوحة تجاه أي نشاط مفاجئ. ارتفعت دقات الساعة المعلقة فوق النضد، بينما ارتفع صوت الريح التي تعوي في الخارج، تمزق كفن الضباب إلى أشلاء ممزقة. جلست أنا والسير «جاي» في المقصورة الدافئة وشربنا الجين. بدأ يتحدث وشعرت بالظلال الموجودة بالمكان تتسلل حولنا للاستماع هي الأخرى. تحدث كثيرًا. كرر كل شيء قاله في المكتب عندما التقيت به، كما لو لم أكن قد سمعت به من قبل. استمعت بصبر شديد. سكبت للسير «جاي» مشروبًا آخر. وآخر. لكن الخمور جعلته أكثر ثرثرة. كم هو ثرثارا

ثرثر عن طقوس القتل وإطالة العمر بشكل غير طبيعي، تلا على مسامعي تلك الحكاية الغريبة بأكملها مرة أخرى. وبالطبع حافظ على اقتناعه الراسخ أن السفاح كان في الخارج الليلة. أفترض أنني كنت منذبًا بتوجيهه بشكل ما بسبب تفاعلي معه. قلت:

- جيد جدًا.

كنت غير قادر على إخفاء نبرة نفاد الصبر من صوتي. استطردت:

- دعنا نقل أن نظريتك صحيحة، على الرغم من أننا يجب

أن نتغاضى عن كل قانون طبيعي ونبتلع الكثير من الخرافات لمنحها أي مصداقية. لكن دعنا نفترض، جدلًا، أنك على حق. كان «جاك» السفاح الرجل الذي اكتشف كيفية إطالة عمره من خلال القيام بأضحيات بشرية. لقد سافر حول العالم كما تعتقد. وهو الآن في شيكاغو ويخطط للقتل. بعبارة أخرى، لنفترض أن كل ما تدعي هو حقيقة مجردة. وماذا بعد ذلك؟

قال السير «جاي»:

- ماذا تقصد بـ«وماذا بعد ذلك»؟

- أعني وماذا بعد ذلك؟ إذا كان كل هذا صحيحًا، فهو كذلك ما زال لا يفسر أننا لو جلسنا في هذا المكان القذر في الجانب الجنوبي، فإننا سنقابل «جاك» السفاح هنا، وحتى لو حدث هذا اللقاء، فمن قال أنه سيسمح لك بقتله، أو تسليمه إلى شرطة. لو قمت بالتفكير في الأمر، أنا لا أعرف حتى الآن ما تنوي فعله معه إذا وجدته.

ابتلع السير «جاي» الجين مجيبًا:

- سأمسكه وأسلمه إلى الشرطة، مع جميع الأوراق والمستندات والأدلة التي جمعتها ضده على مدى فترة سنوات عدة لقد أنفقت ثروة في التحقيق في هذه القضية،

أقول لك ثروة! أمره يعني حل مئات الجرائم التي لم تُحل، وأنا مقتنع بذلك .

هل يقول الحقيقة لأن الخمر فك عقدة لسانه؟ أم كانت كل هذه الثرثرة نتيجة شرب الكثير من الجين بحيث لم يعد يعي ما يقول؟ لا يهم. سكب السير «جاي هوليس» لنفسه كوبًا آخر. جلست هناك وتساءلت ماذا أفعل معه. بدا الرجل كأنه يعمل بسرعة للوصول لذروة الثمالة. قلت:

- هذا يكفي!

مددت يدي بينما سيد «جاي» يمد يده إلى الزجاجة نصف الفارغة مرة أخرى.

- دعنا نطلب سيارة أجرة ونخرج من هنا. لقد تأخر الوقت ولا يبدو أن صديقك المراوغ سوف يظهر. لو كنت مكانك، كنت سأذهب غدًا لتسليم كل تلك الأوراق والمستندات إلى مكتب التحقيقات الفدرالي. إذا كنت مقتنعًا جدًا بحقيقة ذلك من الناحية النظرية، فهم مؤهلون لإجراء تحقيقات شاملة، والبحث عن رجلك.

- لا.

كان السير «جاي» في أشد حالات السكر عنادًا.

- لا تجلب سيارة أجرة. ولكن دعنا نخرج من هنا على أي حال.

ألقيت نظرة خاطفة على ساعتي. قلت:

- لقد حلّ منتصف الليل.

تنهد، وهز كتفيه، وقام مترنحًا. بينما هو متجه نحو الباب، سحب مسدسه من جيبه. همست:

- أعطني هذا! لا يمكنك المشي عبر الشارع وأنت تلوح بهذا الشيء.

أخذت المسدس ووضعته داخل جيب معطفي. ثم أمسكت بذراعه اليمنى وأخرجته من الباب. لم ينظر الرجل الأسود نحونا عندما غادرنا. وقفنا نرتجف في الزقاق. كان الضباب يتزايد. لم أستطع رؤية أي من طرفي الزقاق من حيث وقفنا. كان الجو باردًا رطبًا. والمكان مظلمًا. ضباب أم لا ضباب، كانت هناك هبة ريح خافتة تهمس بالأسرار للظلال التي تسير وراء ظهورنا. كان السير «جاي»، على الرغم من ضعفه، لا يزال يحدق في قلق في الزقاق، كما لو كان يتوقع أن يرى شخصًا يقترب. شعرت بالاشمئزاز. دمدمت:

- يا لها من حماقة طفولية. «جاك» السفاح، صحيح! أسمي

هذا مبالغة في اتباع هواية.

- هواية؟

واجهني. استطعت أن أرى من خلال الضباب وجهه المشوه.

- هل تسمي هذه هواية؟

تذمرت:

- حسنًا، ماذا تسميها أنت؟ لأي سبب غير هذا أنت مهتم جدًا بتعقب هذا القاتل الأسطوري؟

أمسك بذراعي. لكن النظرة المبتسمة بعينيه شدتني. همس:

- في لندن. في عام ١٨٨ ... واحدة من ضحايا السفاح المجهولة .... كانت أمي!

- ماذا؟

- لاحقًا تعرّف عليّ والدي الحقيقي وسجلني باسمه. أقسمنا أن نضحي بأرواحنا لنجد السفاح. كان والدي أول من يبحث. مات في هوليوود في ١٩٢٦ على درب السفاح. قالوا إنه قد طُعنَ من مهاجم مجهول في شجار. لكنني عرفت من كان ذلك المعتدي. وهكذا، فقد توليت عمله، هل فهمت يا «جون»؟

استمررت بالبحث. وسأواصل حتى أجده وأقتله بيدي .

صدقته بعد ذلك. لن يستسلم. لم يكن مجرد ثرثار بعد الآن. كان متعصبًا وعازمًا على أداء مهمته بلا هوادة، مثله مثل السفاح نفسه. غدًا سيكون متيقظًا ويفيق من أثر الخمر. سيواصل البحث. ربما يقوم بتسليم تلك الأوراق إلى مكتب التحقيقات الفيدرالي. عاجلًا أم آجلًا، بمثل هذا الإصرار -ومعه الدافع- سينجح. لطالما عرفت أن لديه الدافع. قلت:

- لنذهب.

وقدته عبر الزقاق. قال السير «جاي»:

- انتظر لحظة. أعِد لي المسدس.

كان يترنح قليلًا.

- سأشعر بتحسن لو كان المسدس معي.

دفعني نحو مكان مظلم بالزقاق. حاولت إبعاده، لكنه كان مصرًا. تمتم:

- دعني أحمل المسدس يا «جون».

قلت:

- حسنًا.

مددت يدي لجيب معطفي، وأخرجت يدي مرة أخرى. احتج قائلًا:

- لكن هذا ليس مسدسي. هذا سكين!

- أعرف.

انحنيت نحوه بسرعة. صرخ:

- «جون»!

همست رافعًا السكين:

- انسَ اسم «جون»، فقط نادِني باسم... «جاك»!

تمت

*****